



رقم السؤال: 6443

ما تعقيبكم على اقتحام وحرق الحانات في تونس ؟

السلام عليكم

شهدنا في الأيام القليلة الفارطة في بعض المناطق التونسية عمليات إقتحام وحرق لحانات ونقاط بيع الخمر من طرف الإخوة ! ما ردكم على ما فعلوه مع العلم أنهم دخلوا إلى الحانات أولاً للدعوة فصارت بينهم وبين عناصر الشرطة اشتباكات إلى أن وصلت لإضرام النار فيها !

نريد منكم نصيحة لشباب التوحيد في تونس في الحين الذي أصبح فيه العديد من المخترقة العملاء للحكومة تتنكر بلباس السنة (قميص وعمامة) و لحية

وقد كشف أمر القليل منهم في مواضع يعسر علي ذكرها !

بارك الله في أعمالكم وجعلها في ميزان حسناتكم

السائل: أبو يوسف التونسي

المجيب: اللجنة الشرعية في المنبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :



فلا يخفى على الإخوة أن النظام يتربص بهم وبدعوتهم ويتمنى لو يجد مبررا يمكنه من القضاء عليها أو تشويهها ونشر الافتراءات ضد أصحابها ,و هو يستغل في ذالك الإعلام المضلل ..

ولعلكم تذكرون ما قامت به قناة الجزيرة من نشر لتقارير إخبارية متواصلة عن السلفية في تونس وتسليط الضوء عليهم وقد كان واضحا أن الغرض من ذالك هو التحذير من السلفيين والتخويف منهم وتصويرهم على أنهم يمثلون مشكلة للناس وأنهم يكونون دولة داخل دولة ..!

فحري بالإخوة أن يتفطنوا لتلك المكائد وأن يحبطوها بطريقة عملية وأن يتبنوا المنهج الدعوي الجذاب الذي يأسر العقول ويستميل القلوب ..

وان يكون إنكارهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدالهم بالتي هي أحسن، فإن ذلك أدعى للقبول، كما قال تعالى-: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}

وقد أمر الله تعالى نبييه موسى وهارون عليهما السلام أن يجادلا فرعون بالتي هي أحسن ، وأن يُلينا له القول ، فقال تعالى : { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } .

وقال تعالى مادحا نبيه صلى الله عليه وسلم ومذكرا له بنعمته عليه : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } .

ولهذا كان الرفق والحكمة والحرص على الأناة بالناس وملاطفتهم حال أمرهم و نهيهم من صفات الآمر والناهي الحريص على بلوغ الغرض :

من يستعن بالرفق في أمره ... يستخرج الحية من جحرها

والله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على الشدة،ولأن الرفق في معظم الأحوال أبلغ في التأثير من الشدة , بل قد يكون في التعنيف والغلظة مفاسد كبيرة .

الحمدُ للّه شكرا لا مَثيلَ له ... ما قيلَ شيءٌ بمثلِ اللّين واللُّطفِ

ولأن الرفق واللين هو دأب النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته :

- عن أنس بن مالك قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ? إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ? : مه مه ! قال : فقال رسول الله ? : « لا تزرموه دعوه » . فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ? دعاه ، ثم قال : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » . أو كما قال رسول الله ? . قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه . متفق عليه .

- وعن معاوية بن الحكم السلمى قال بينا أنا أصلى مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله. فرمانى القوم بأبصارهم فقلت واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلى. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوننى لكنى سكت فلما صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبأبى هو وأمى ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى قال « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ».رواه مسلم .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث بعثًا يقول : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ».

أما بالنسبة لما يتعلق بإنكار المنكرات فلا بد من مراعاة القواعد العامة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأخذ على يد الظالم لا يجب إلا مع القدرة ولا يشرع إلا بالوسائل المحققة للمصلحة التي لا يترتب عليها مفسدة أعظم .

إذ من شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يؤدي إلى مفسدة أعظم من المنكر المراد تغييره ، والمسلم لا يسعى إلا فيما فيه صلاح دينه ودنياه والشريعة مبنية على تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(ولهذا قيل وليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد بل كل ما أمر الله به فهو صلاح وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم المفسدين في غير موضع فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله وإن كان قد تُرِك واجب وفُعِل محرم) مجموع الفتاوى (28/ 126).

وقال شيخ الإسلام أيضا:

(إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعًا، أو تركوهما جميعًا، لم يجز أن يأمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر، بل أن ينظر، فإن كان المعروف أكثر أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصدّ عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله، وزوال فعل الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نهى عنه، وإن استلزم ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر، وسعيًا في معصية الله ورسوله، وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة) مجموع الفتاوى (28/ 130).

فتبين من كلامه رحمه الله أنه يترتب على تغيير المنكر وإنكاره واحد من أمور أربعة :

1- أن يزول المنكر بالكلية وهذا مشروع.
2- أن يقلّ المنكر ويخفّوإن لم يزل بالكلية، وهذا مشروع أيضًا.
3- أن يزول ويخلفه ما هو أشد منه، وهذا محرم.
4- أن يزول ويخلفه ما هو مثله من المنكر، وهذا موضع اجتهاد من المنكِر والناهي.

وقال ابن القيم - رحمه الله - : (إن النبي –صلى الله عليه وسلم- شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله 00 ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، وعدم الصبر على منكر ، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه،) إعلام الموقعين (3/ 4).

وهذا كله راجع إلى القاعدة المتفق عليها عند أهل العلم وهي : "ارتكاب أخف الضررين" و "تحمل أدنى المفسدتين".

وقد دل على هذه القاعدة عدة أدلة من الكتاب والسنة ..

أما أدلتها من الكتاب فمنها :

1- قوله تعالى: { وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ.. } [البقرة: 217]. وقوله : {.. وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ.. } [البقرة :191]

فأخبر الله تعالى أن الفتنة في الدين أعظم فسادًا من القتل فتدفع أعظم المفسدتين بالتزام أدناهما.

2- قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح:25,24], ففي هذه الآية يخبر الله تعالى أنه كف أيدي المؤمنين ومنعهم من أن يدخلوا المسجد الحرام، بسبب وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين في مكة, لم يكونوا متميزين, حتى لا يصيبهم من الأذى والقتل ما لا يستحقون.

3-قوله تعالى :{ وَلا تَسُبُّواْ الَّذِيْنَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

فنهى الله تعالى عن سب آلهة المشركين ، لما يترتب على ذلك من مفسدة، وهي سبهم لله تعالى 0

وأما أدلتها من السنة فمنها :

1- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي (قال لها : (يا عائشة لولا قومكِ حديثٌ عهدهم -قال ابن الزبير : بكفر - لنقضتُ الكعبة فجعلت لها بابين : بابٌ يدخل الناس ، وبابٌ يخرجون) ففعله ابن الزبير . رواه البخاري .
وترجم البخاري له بقوله : (باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يَقْصُرَ فهمُ بعض الناس عنه فيقعوا في أشدَّ منه) .

قال ابن حجر - رحمه الله - (وفي الحديث معنى ما ترجم له لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً ، فخشيَ (أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غيّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك ، ويُستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه) .

وقال ابن القيم :(فقد كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عَزَمَ على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم،ومنَعه من ذلك - مع قدرته عليه - خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر). إعلام الموقعين (3/ 4).

2 عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا) رواه البخاري في صحيحه.

فترك النبي صلى الله عليه وسلم كثرة الوعظ والتعليم مع ما في ذلك من المصلحة والحاجة إليه لدفع مفسدة النفور والسآمة.

******

أخيرا نقول للإخوة في تونس :

لا نريد لهذا الخير أن ينقطع .. ولا لباب الدعوة المفتوح أن يوصد ..

إن على ظهوركم "ترسانة" من الأوصاف والألقاب المشينة التي ألصقها بكم الإعلام الأثيم طيلة العقود والسنوات الماضية

فحاولوا ان تغسلوا زيفه الكاذب بالدعوة الحكيمة والأخلاق الكريمة ..

ولا شك أن السعي إلى محاربة المنكرات الظاهرة كالخمور ونحوها أمر أوجبه الله تعالى ولا يجوز للمسلمين أن يقروا بينهم ما يقدرون على إزالته من تلك المنكرات ..

لكن ينبغي في الوقت نفسه أن تحذروا من أي تصرف سوف تكون نتائجه عكسية وعواقبه ردية ..

فحاولوا بالوسائل الممكنة التي تحقق الغرض المشروع وتدفع المنكر الممنوع أن تزيلوا كل ما في بيئتكم من منكرات, مع الاجتهاد في تجنب الصراعات والصدامات , لأن مشروعكم الدعوي حتى هذه اللحظة وسيلته هي الكلمة والحجة والإقناع ..

فلا تعتمدوا على وسيلة هي بأيدي غيركم وليست بأيديكم ..!

وأكثر ما يأتي الضرر من قبل التصرف الفردي الذي لا يتقيد بمشورة ولا يخضع لإمرة .

فاحرصوا على ان تكون كل التصرفات في هذا المجال محكومة بالمشورة العامة ورأي أهل العلم وشيوخ الدعوة في البلد فهم أبصر بما يحقق المصلحة ويسد أبواب المفسدة .

والله أعلم

والحمد لله رب العالمين.

أجابه، عضو اللجنة الشرعية :
الشيخ أبو المنذر الشنقيطي